Comprehensive Journal of Science
Volume (9), Issue (36), (Sept 2025)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد(9) العدد (36) (سبتمبر 2025)
ردمد: 3014-6266

الكلمة بين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية
دراسة في بعض الأحاديث النبوية

عفاف جمعة زايد
جامعة ا لزاوية – كلية الآداب
a.husseina@zu

تاريخ الاستلام:2025/8/7 -تاريخ المراجعة: 2025/9/9- تاريخ القبول: 2025/9/16- تاريخ للنشر: 2025/9/23

الملخص:

يتحدد معنى الكلمات إذا كانت منفردة من خلال معاجم اللغة، ولكنها على الرغم من شموليتها ودقتها في تزويدنا بجل المعاني إلَّا أنها تعد قاصرة عن الإتيان بالمعاني الكاملة للكلمة في كل السياقات باختلاف أنواعها، وبحسب المواقف الكلامية التي تستخدم فيها الكلمات، فهي لا تستطيع أن تمنحنا الدلالة النهائية التي ينبغي أن تُفهم منها ؛ لذلك فإن معنى الكلمات لا يتحدد إلَّا من خلال علاقتها بتجاورها مع غيرها، فكل كلمة تملك معنىً معجميًا أول يتحدد من خلال المعجم بشكل عام، ولاشك في أن قيمتها تزداد ويتعين المراد منها من خلال السياق الذي يقوم بدوره في تحديد المعنى الدقيق...

Abstract:

The meaning of words, when considered individually, is determined through dictionaries. However, despite their comprehensiveness and accuracy in providing most meanings, they are still limited in delivering the complete meanings of a word in all its different contexts and according to the speech situations in which the words are used. They cannot provide us with the final indication that should be understood from them. Therefore, the meaning of words is determined only through their relationship and adjacency to others. Each word has a primary lexical meaning generally defined by the dictionary, and undoubtedly its value increases and the intended meaning is specified through the context, which plays its role in determining the precise meaning

أهداف البحث

تهدف هذه الدراسة إلى إظهار قيمة الكلمة ودلالتها في سياقها اللغوي ،حيث أن الدلالة المعجمية وحدها لا تتكفل بإظهار دلالة الكلمة بكل أوجهها وظلالها؛ لأن المعنى المعجمي لا يُظهِر تأثرها بالسوابق واللواحق ،والمواقف المختلفة التي تظهر فيها ، بعكس الدلالة السياقية التي تتغير تبعًا لأي متغير يصيب الجملة، أو النص سواء كان هذا المتغير داخلي أو خارجي ،فالكلمة في ذاتها لا تحمل دلالة مطلقة، وإن تعددت دلالاتها المعجمية فاستعمالها في النصوص هو ما يبين معناها، ويحدِّدُه تحديدًا دقيقًا ،بل ويبعده عن معانيها المعجمية الأخرى ليحصرها في معنى واحد، بحيث يستقر كل من المتكلم والسامع على الوقوف على المعنى المراد، الذي لا يمكن تأويل الكلمة فيه إلى أي معنى آخر من الدلالات المعجمية المتعددة ،كما تقوم هذه الدراسة على التمييز بين المعنيين ،المعنى الأول معجمي ،وهو ما يُسمى أيضًا بالمعنى الأساسي أو المعنى التصويري، وهو الذي يدرس ما تعطيه الوحدة المعجمية من معانٍ ودلالات للكلمة حين تجيء مفردة ،والمعنى الآخر هو المعنى الإضافي أو الثانوي الذي ينتجه السياق، فهو معنى فيه زيادة عن المعنى الأساسي ،ويظهر من خلال سياق النص

أهمية البحث

1_إبراز قيمة الكلمة عند استعمالها في السياق، ودور السياق في تحديد معناها بدقة

2_دراســة العلاقات الســياقية من خلال تطبيقها على النماذج الوظيفية في الأحاديث محل الاهتمام ؛ لما لهذه العلاقات من أهمية كبيرة في بناء اللغة واتساقها وانسجامها

إشكالية البحث

تمحور الإشــكالية التي يعالجها البحث في ضــــرورة تكريس المعنى الســـياقي، والاهتمام بالدلالة الســـياقية للوقوف على معاني الكلمات، وانعكاس ذلك على فهم النصـوص الحديثية ،وكيف اسـتطاع العلماء تدبر المعنى وفهمه من خلال توظيف سـياق المقال والمقال.

المنهج المتبع

انطلاقًا من طبيعة البحث فقد كان لِزامًا علينا أن نتبع المنهج الوصـفي التحليلي ،حيث تقوم الدراسـة على اختيار بعض الكلمات ، وتعيين معناها في اللغة ،ثم اختيار الأحاديث التي تناولت الكلمة واستقرائها ومحاولة شرحها والوقوف على معناها في السياق الذي جاءت فيه مع إيراد مايسند تلك العلاقة من أقوال العلماء في محاولة جادة للوصول إلى المعنى الدقيق .

المقدمة

الكلمة عبارة عن صــوت أو أصــوات مجتمعة ينطقها الإنســان ،أو يكتبها بالبيد؛ لكي تشـكل وحدة تحمل معنىً يتمثل في كائن حي ،أو شيء أو مفهوم[1].

والكلمة ليست دائمًا سهلة كما يبدو للكثيرين، فهي وحدة تستقل بذاتها، ولا يمكن لمعيار مثل: التنغيم أو الفصـل الوظيفي أن يحددها في كثير من الأحيان [2]

وفي الواقع تكوِّن الكثير من الكلمـات وحـدات معقدة ،بحيـث يمكن أن تميز وحـدات فرعيـة منهـا (اللواحق والســـوابق والجذور)، وبالتالي يمكن استخراج وحدات أصغر لكلٍ منها دلالتها الخاصة ودورها الواضح

والذي يبدو أن معاني الكلمات لا تتحدد بالقيم التجريدية العامة المُشـــار إليها في المعجمات فقط ؛ لأن لكثير منها تمثل ظلالًا من المعاني النفسية والعاطفية التي تكسبها ألوانًا مؤقتة من الأحاسيس والمعاني الجزئية [3]

وعندئذ تكون الدلالة الســـياقية هي تلك الظلال التي تظهر من خلال تجارب الأفراد وأمزجتهم، وما توارثوه عن آبائهم ،حيث يسـعى المتكلمون إلى نطق الألفاظ أمام السـامعين في محاولة منهم لإيصـــال المعنى الذي يرمون إليه، وقد يطابق المعنى الذي قصـده المتكلم ما يوجد في ذهن السـامع، بل إنها قد تبعث في ذهنه دلالة معينة اكتسبها من خاص أمره، ودخيلة نفسـه، وقد يفترض المتكلمون الأُول أن ما يرمون إليه يماثل ما يدور في خلد الســامعين، ولكن الحقيقة تقول : إن هناك بَونًا يسـيرًا أو خطيرًا بين الدلالتين [4] مع الاتفاق غالبًا على الدلالة المركزية.

وبذلك نقول: إن الكلمة تكتنفها دلالتان الدلالة الأولى معجمية، والدلالة الثانية ســـياقية، ومعناها يختلف بين هاتين الدلالتين، حيث إن الدلالة المعجمية هي الدلالة التي نستقيها من المعجمات عارضـةً لشرحها شرحًا عامًا يوضـح المعنى الأصـلي، وهي دلالة مجردة عما يمكن أن توحيه القوالب الصرفية من دلالات زائدة على تلك الدلالة الأساسية التي نعرفها بالمعجمية[5].

---

[1] ينظر الكلمة، حلمي خليل، الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980م، ص:14.

[2] مبادئ الألسنية العامة، مارتيني، ترجمة ريمون رزق الله، بيروت، دار الحداثة، 1990، ص21.

[3] ينظر : منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، علي زوين، دراسات دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986م، ص:92.

[4] ينظر دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس،الطبعة الثالثة ،مكتبة الأنجلو المصرية ،1986م، ص107

[5] ينظر نظرات في اللغة، محمد رضوان، مطابع دار الحقيقة، بنغازي، 1976م.

فالدلالة المعجمية للمعنى العرفي التي يتم بها أجزاء الكلام، ويتم فيها التعامل مع اللفظ مجردًا وبعيدًا عن عوامل السياق اللغوي، ويعزلها عنه، فينتج لنا دلالاتها المجردة في أصل الوضع، وهي الدلالة الأولى للكلمة التي وضعت في أصل الاستخدام .

فالكلمة في المعجم تشير على شيء، وفي العالم الخارجي تشير على شيء آخر، وهي بذاتها عندما تدخل سياق ما، تتعرض لدلالات جديدة تتناسب والسياق الجديد بمقتضياته اللغوية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

وبذلك نستنتج أن المعجم لايمكن أن يكون كافيًا للبحث عن المعنى الدقيق لدلالة الكلمة .

ولا شك أن البحث في المعاجم يساعد على إبراز المعنى المشترك الذي يوصلنا إلى الكثير من الدلالات المختلفة بما يتناسب مع السياقات التي وُجدت فيها.

في حين يرى إبراهيم أنيس أن الدلالة السياقية قد تُضاف إلى الدلالة المعجمية، إذ إن هدف المعجمات توضيح تلك الدلالات الاجتماعية، وهذا رأيٌ فيه نظر ؛لأن المعجم لا يستطيع أن يحصر كل السياقات التي تقع فيها العبارات أو الكلمات، وإن هو فصَّل فه يُفصِّل في إيراد أنواع من دلالات الكلمة أو العبارة.

وهكذا يظل تحديد معنى الكلام محتاجًا إلى ضوابط أخرى غير ضابط الدلالة المعجمية [(1)]

والحقيقة أنه لا يجب أن يبالغ الباحث في الاعتقاد بأن المعجم لا يمكن أن يقف على توضيح الدلالة، وهذا لا يُعد نقصًا في الدلالة المعجمية، والتي يناط بها إيراد المعنى الأساسي المؤدي إلى مجموعة من المعاني الجزئية الظاهرة من خلال السياقات، ثم إن هذه الفروق الجزئية أو الدلالات الهامشية والعاطفية قد تتسع وقد تضيق، ولكنها تبقى متكلة على المعنى المركزي أو الأساسي الذي يجذبها إليه، وتتصل معه بعلاقة وطيدة، وهو المرجع في تبيين المعنى الجديد الحادث واللمحة المضافة ؛ولذلك ليس في وسع المعجم كلِّه أن يُورِد كل ظلال المعنى ودلالته الاجتماعية أو السياقية؛ لأنه عندئذ سيصبح عمدة من الألفاظ التي لا تنتهي[(2)].

إذًا نحن بحاجة إلى السياق الذي وردت فيه الكلمات ؛لأن استبعاده قد يؤدي إلى ظاهر المعنى دون حقيقة المعنى، وقد يُفهم من المعنى السياقي أمران مرتبطان يكمل أحدهما الآخر، وهما:

1. إن معنى الكلمة مرتبط بالسياق اللغوي الذي هو جزء من السياق الذي ترد فيه .

2 ـــ إن السياق لا يكون إلَّا بوجود نصوص، وإن معرفة معناه يقوم على أساس معرفة معاني الألفاظ التي تربطها علاقات قوية، ويجمعها بناء متماسك موَّحد .

الدلالة السياقية .

وهي الدلالة التي لا يمكن الحصول على معنى المفردة فيها ،والوقوف على دلالتها من خلال السياق الذي ترد فيه، حيث تخضع فيه الكلمات للعلاقات المعنوية، والظروف المحيطة بها والمواقف الحالية والتعبيرية، التي تأتلف مع بعضها البعض ؛ لتبيين المعنى الخاص لتلك الكلمات ،كما يطلق عليها أيضًا الدلالة الإضافية أو الدلالة الهامشية، أو ظلال المعنى، وهي بمعنى أوسع الدلالة التي لا يمكن الحصول علي معنى المفردة فيها، والوقوف على دلالتها إلَّا عبر إئتلافها وتركيبها ووجودها وتلاؤمها مع سائر الألفاظ، وارتباطها بها داخل السياق[(3)] وتأتي أهمية الدلالة السياقية في توضيح المعنى وتعيينه، وذلك في أنها تعتني ببعدين أساسيين:–

---

(1) ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، محمود السعران،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت لبنان ص:265

(2) ينظر: علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق: دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، ط1، دار الفكر، دمشق، 1985م، ص:218، 217.

(3) ينظر قراءة النص القرآني بين المعنى المعجمي والمعنى السياقي، حيدر علي نعمة، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد 93، 2016م، ص59.

– البعد الأول (داخلي مقالي)، وهو بعد يعتمد على السياق اللغوي الصرف، ويتأسس على وفق المُكوَّن النحوي الذي تجيء فيه المفردات متعلق بعضها ببعض، بناءً على القواعد والضوابط التي تعتمدها لغة ما، وهذه الضوابط هي التي تعمل على توضيح قيمة الكلمة الدلالية داخل التركيب اللغوي .
– البعد الثاني خارجي أو سياق غير لغوي أو سياق مقامي يوضح الخلفية غير اللغوية المحيطة بالعملية اللغوية .

وبذلك نقول:

إن المعنى السياقي يتكون من معاني الألفاظ التي يتألف منها، وكيفية استعمال هذه الألفاظ في نص تلك العبارة اللغوية، فأية كلمة ليس لها إلَّا معنىً واحدًا يحدده السياق الذي تجيء فيه .

فالكلمة في المعجم معناها متعدد، ولكن معناها في السياق محدد ؛لأنه "يوجد في السياق قرائن تعين على اختيار معنى واحد من بين المعاني المختلفة في المعجم "[1]ونخلص إلى أن فهم المعنى ليس حكرًا على المعنى المعجمي، فهناك قرائن ذات أهمية كبيرة تعين على تعيين المعنى، وتعد جزءًا أساسيًا من أجزاء الكلام كشخصية المتكلم (المخاطب)، وما بينهما من علامات، وما يحيط بالكلام من مناسبات وملابسات فلا يمكن تحديد المراد من المفردة إلَّا عن طريق فهم السياق، والظروف المحيطة به .

وسنتناول في الوريقات القادمة بعض الكلمات الواردة في مجموعة من الأحاديث للوقوف على مدى اتساع معانيها بين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية

أصرَّ :

أوضحت المعاجم اللغوية الدلالة المعجمية للجذر اللغوي (صرر) ووقفت على أهم معانيه ومنها.

المداومة والثبات على الشيء.

أصرَّ يُصِرُّ على الشيء أي: لزمه وثبت عليه، وأَصَرَّ الرجل على الذنب إصرارًا وهو مُصِرٌّ إذا عزم على أن يمضي فيه، ولا يرجع عنه.[2]

قال ابن السكيت : إنها عزيمة محتومة، قال: وهي مشتقة من أصرَّرت على الشيء إذا أقمت ودمت عليه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ولم يصروا على مافعلوا وهم وهم يعلمون﴾[3].....[4]

الجمع والشد.

يأتي الفعل (أصرَّ) بمعنى جمع وشدَّ، فيقال: أصرَّ الحمار بأذنه، أي :سوَّاها ونصبها للاستماع[5].

الجفاف

فيقال أَصَرَّ السنبل مالم يخرج فيه القمح بعد ما يُقصَّب، وأصرَّت الناقة جفَّ لبنها[6]

العهد

(1) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، المغرب، الدار البيضاء، دار الثقافة، الطبعة الأولى، ص:365

(2) ينظر جمهرة اللغة ،ابن دريد (أبي بكر محمد بن الحسن)،تحقيق رمزي منير بعلبكي ،دار العلم للملايين ،الطبعة الأولى ،1987م،(صرر) والمعجم الوسيط،مجمع اللغة العربية ،مكتبة الشروق الدولية ،القاهرة ،2004م، (صرر)

(3) سورة آل عمران، الآية 135

(4) ينظر تاج العروس من جواهر القاموس،الزبيدي (أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني)،تحقيق مصطفى حجازي ،مراجعة د.أحمد مختار عمر ،د ضاحي عبد الباقي ،د خالد عبد الكريم جمعة ،1998م، (ص رر)

(5) ينظر لسان العرب ابن منظور (أبي الفضلمحمد بن مكرم بن علي جمال الدين الأنصاري ،دار صادر ،بيروت ،الطبعة الثالثة، (صرر)

(6) ينظر القاموس المحيط (صرر)

تقول العرب : أصرته بمعنى قيدته بالعهد وحبسته وعطفته عليه أي : عاهدته ومن ذلك قولهم: ما تأصرني على فلان آصرة أي : ما تعطفني عليه قرابة[1].

وفي الحديث "ويل لأقماع القول ،وويل للمُصرّين الذين يصرون على ما فعلوه وهم يعلمون "[2]جاءت كلمة (المُصرّين) في الحديث خبرًا مسندًا إلى كلمة (الويل) وهي المبتدأ، والويل وادٍ في جهنم تستعيذ منه جهنم من هول النار التي فيه، وفي إسناد الخبر للمبتدأ في الحديث ما يعطي سياق الحديث بعدًا دلاليًا يدور حول الدعاء بالهلاك والعذاب، وهذا النوع من الدعاء لا يكون إلَّا للآثمين والمذنبين مرتكبي المعاصي، وهم العازمون على الإقامة على الشر والذنوب، مما يدل على ضَعف نفوسهم ،بحيث لا يمكنهم مقاومة أهوائهم فيبقون مداومين على المعصية، دون توبة صادقة .والإصرار الذي يشير إليه الحديث هو إصرار دون استغفار، أي: أن أصحابه مداومون عليه وثابتون فيه .والإصرار على الذنب إما أن يكون عن جهل فقد يُعذر من لا يعلم حرمة الفعل الذي أصر عليه، وأما إن كان عن علم بالحكم فإن الفاعل يكون آثمًا إذا كان على معصية، ويتضاعف إثمه بمقدار ما هو عليه من حرمة .وهذا النوع هو الذي أشار إليه السياق عندما قال :(وهم يعلمون).

صلَّى:

اختلف علماء اللغة في الجذر (ص ل ي) فمنهم من رجح كون هذه الكلمة قد جاءت من الجذر اللغوي(ص ل ي)، وهي بمعنى: الصلي بالنار، حيث يقال: صليتُ العود بالنار إذا أردت تليينه، كما أن المُصلِّي يلين بالخشوع.[3]

ومنهم من ذهب إلى مجيئها من الجذر اللغوي (ص ل و)؛لأنها تجُمع على صلوات، وتثنى صلوان .

ويذهب الزَّجاج إلى أن المعنى اللغوي للصلاة الأصل فيه هو

اللزوم

حيث يقال: صلَّى واصطلى إذا لزم والتزم بفرض الله تعالى، والصلاة هي العبادة المفروضة، وهي اسم يُوضع موضع المصدر، فيقال: صلَّى صلاة ولا يقال صلَّى تصلية؛ ولأن الأصل في الصلاة الدعاء؛ لذلك سُميت ببعض أجزائها، ويقال: الأصل فيها التعظيم، وسميت الصلاة المخصوصة صلاة؛ لأنها تختص بتعظيم الرب تعالى [4] .

الدعاء والرحمة

وذلك بأن تكون أداة المسلم للتقرب إلى الله بالطاعة والامتثال لأمره بالدعاء، وطلب العفو والرحمة، وكثيرًا ما يُصَلَّي على النبي :أي يدعو له بالجزاء الحسن والثواب المبارك، والله سبحانه وتعالى يرد على عبده بالصلاة رضىً وثناءً، ويبدو أن الجذران (ص ل ي) و(ص ل و) يندرجان تحت معنى الصلاة العام، وهي الرحمة والثناء، وتكون من العباد بمعنى الاستغفار والدعاء[5].

وفي حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم– "إذا دُعِي أحدكم فلُيجِب، وإن كان صائمًا فليصلِّ"[6] ورد الفعل(فليصلِّ)بمعنى (فليدعُ) بحسب ما يوجه إليه السياق المعنى، في حين أن المتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى أن المقصود بالصلاة بمفهومها الشرعي، هو العبادة المخصوصة، والمبينة حدود أوقاتها، وأحكامها في الشريعة، ولكنا نستشف من السياق أن المقصود هو المعنى اللغوي للصلاة، وهو الدعاء فالصلاة من الله تعالى : هي الرحمة فالله يصلي على عبده رضىً وثناءً ورحمةً به .

---

[1] ينظر معجم مقاييس اللغة،أحمد بن فارس ،تحقيق عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،1979م، (صر ر)

[2] غريب الحديث ابن قتيبة 113/1

[3] ينظر المصباح المنير، الفيومي (ص ل ي)

[4] ينظر لسان العرب، (ص ل و)

[5] ينظر مختار الصحاح، الرازي (ص ل ي) و (ص ل و)

[6] الفائق في غريب الحديث، الزمخشري،(جار الله محمود بن عمر)تحقيق علي محمد البجاوي ،محمد أبو الفضل إبراهيم ،عيسى البابي الحلبي وشركاه،الطبعة الثانية ، 257/2

ويحيط بالسياق عدة قرائن لغوية تبين الجنوح إلى هذا المعنى، حيث استعمل– صلى الله عليه وسلم– مجموعة من الكلمات التي تؤكد أن المقصود بالصلاة الدعاء، منها الفعل (دُعِيَّ)، وهو من الدعوة وطلب الحضور، والفعل (فليجب) أي: فليلبي الدعوة و(الصائم) وهو الممتنع عن الطعام لغرض العبادة .

ويؤكد الزمخشري هذا المعنى:– في تفسير الحديث" أي : فليدع بالبركة والخير للمُضيف، وقد تأتي الصلاة بمعنى الرحمة، وصلى عليه الله، إذا رحمه ؛لأنه برحمته يقوّم أمر من يرحمه، ويذهب باعوجاج حاله، وأَودِ عمله، وقولهم :صلَّى إذا دعا معناه صلاة الله، وهي رحمته، كما يقال: حياه الله . وحييت الرجل إذا دعوت له بتحية الله[1] وقد جاء ت الصلاة بمعنى الدعاء في حديث سودة بنت زمعة "إذا متنا صلى لنا عثمان بن مظعون "[2] أي: دعا لنا بالمغفرة، قال الخطَّابي في تفسير هذا الحديث :"إن الصلاة بمعنى التعظيم والتبريك هي للرسول، والتي بمعنى الدعاء والتبريك تقال لغيره "[3]

حفد

ورد الجذر (حفد) بمعاني عدة في معجمات اللغة أبرزها .

الإسواع في العمل

يقول الفيروز آبادي: "يحفد حفدًا وحفدانًا :–خفَّ في العمل، وأسرع فيه كاحتفد ......وأحفده حمله على الإسراع وإنهاء ما أوكل له من عمل .[4]

ابن الابن

يسمى ابن الابن حفيد؛ لأنه خادم جده، وهذه التسمية جاءت من الحفدة، وهم الخدم والأعوان الذين يقومون على خدمة أسيادهم، كما يخدم الحفيد جده لملازمته إياه وقربه منه .

أصل الشيء و منبعه

يقال :فلان ذو محفدٍ شريفٍ أي :أنه معروف بين الناس بأصله الكريم، وقد جاء من هذا الجذر في حديث عمر –رضي الله عنه –في قنوت الفجر قوله : "وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك، إن عذابك بالكفار ملحق "[5]

قال ابن قتيبة وقوله في صلاة الوتر :"وإليك نسعى ونحفد، يريد بنحفد نبادر، وأصل الحفد مداركة الخطو والإسراع فيه، يقال :حفد الحادي وراء الإبل إذا أسرع ودارك خطوه "[6]

وذهب أبو عبيد إلى أن معنى الحديث " إنا نعبدك ونسعى في طلب رضاك ....فأراد عمر بقوله :"وإليك نسعى ونحفد "،العمل لله بطاعته " [7].

والذي نراه أن أبا عبيد قام بتفسير الكلمة بحسب ما يستدعيه السياق ،حيث دلَّت فيه على المبادرة والإسراع والسعي لطلب مرضاة الله بالطاعة والامتثال عن طريق اتِّباع أوامره واجتناب نواهيه

ويلاحظ من سياق الحديث أن عمر –رضي الله عنه –قد عمد إلى تقديم شبه الجملة؛ لإظهار عنايته واهتمامه بالله– سبحانه وتعالى –من خلال طلب مرضاته، وذلك بالسعي والحفد أي: الإسراع والخفة في خدمته أملًا في رحمته وخشيةً من عذابه. .

---

[1] ينظر المصدر السابق، الموضع نفسه

[2] النهاية في غريب الحديث والأثر، 50/3

[3] المصدر السابق: الموضع نفسه

[4] القاموس المحيط (حفد)

[5] ينظر لسان العرب (حفد)

[6] غريب الحديث: ابن قتيبة 70/1

[7] غريب الحديث: الهروي (أبي عبيد القاسم بن سلام) إعداد مسعود حجازي وعبد الصمد محروس وأيمن حجازي،إشراف ومراجعة محمود الطناحي ،1999م، 92/2

كفل

جاء هذا الجذر اللغوي في معجمات اللغة بمعاني عديدة لعل أبرزها

النصيب والحظ

قال الزجاج : "الكفل في اللغة النصـــيب أُخِذ من قولهما اكتفلت البعير إذا دُرتُ على ســـنامه .....وقيل :اكتفل البعير ؛ لأنه لم يستعمل الظهر كله إنما استعمل نصيبًا من الظهر" [1] وقد جاء في القرآن الكريم بهذا المعنى في قوله تعالى {ومن يشفع شفعة سيئة يكن له كفل منها }[2]

الضِعف

الكفل ضعف الشيء ومن ذلك ماجاء في قوله تعالى {يأيها الذين أمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته }[3]

الضمان

تقول تكفلت بكذا ،وكفلت فلانًا،أي تعهدته وتوليت رعايته

التَوْكب

قال أبو عبيد :هو أن يوضع الكساء حول سنام البعير ثم يركب [4]

الفار من الحوب

فالكفل من الرجال هو الذي يكون في آخر المعركة ، والمستعد دائمًا للهرب.

وفي الحديث "أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة هكذا ،وأشار إلى السبابة والوسطى وفرَّج بينهما شيئًا " [5] فالسياق يحدد دور الكافل ،وهو الشخص القائم على تربية اليتيم، والمهتم بشؤونه منذ الصغر ، ويبين ترغيبه_صلى الله عليه وسلم _ للمسلمين في ضمانة اليتيم، والاعتناء به ،ويظهر ذلك في استعمال الواو العاطفة بين (أنا وكافل) للدلالة على المشاركة في المنزلة في الجنة ،كما أن في استعماله لكاف التشبيه في (كهاتين) مايؤكد على معنى قرب منزلة اليتيم من النبي _صلى الله عليه وسلم _ ومن هذا المعنى ما جاء في قوله تعالى{ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب }[6]

قال الراغب في تفسير الآية :"أي :كفلها الله تعالى ،ومن خفَّف جعل الفعل لزكريا ،المعنى تضمَّنها "[7].ويظهر سياق الحال في استعماله_ صلى الله عليه وسلم _لأصابع اليد (السبابة والإبهام) ؛لما لذلك من دور في شد انتباه السامعين من الصحابة ،وتأكيد مايقصد بالكفالة في الحديث ،وهي الضمانة والرعاية

سبب

يُحمِّل اللغويون الجذر اللغوي (س ب ب) معاني يدور أبرزها حول

القطع.

---

[1] لسان العرب (كفل)
[2] سورةالنساء ،الآية85
[3] سورة الحديد ،الآية 28
[4] ينظر غريب الحديث 421/2
[5] صحيح البخاري(أبي عبدالله محمد بن إسماعيل 489/4
[6] سورة آل عمران 36
[7]

قال الفيروز آبادي : سبَّه أي: قطعه وطعن فيه وشتمه، وتسابًا :تقاطعًا، واشترك كل واحدٍ منهما في السبِّ، والسُبَّة من يُكثِر الناس شتمه بأن يعيروه بما فيه من عيوب أو بما ليس فيه[1] ومنه قوله تعالى ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا العَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾[2]

الذريعة أو الدافع أو الوسيلة

يقال: كان سبب الغياب هو المرض، أو ما وجدت سبًبا للوصول إليه[3].

الحبل :

وهو ما يتوصل به إلى غيره، فيستعان به إلى جذب الماء من البئر مثلاً، أو ربط الأنعام وقيادتها إلى حيث شاء راعيها، وجاء في حديث أبي هريرة "لاتمشين أمام أبيك، ولا تجلس قبله، ولاتدعه باسمه، ولاتسبسب له "[4]

ومعنى سبسب الذي يقبله السياق هو الشتم، وربما نرى أن تفرُّعات معنى الجذر (سبسب) قد وافقت المعنى الذي وجَّه إليه السياق معنى الحديث ؛لأن السَّب هو الشتم، وهو ما يؤدي إلى الطعن في أعراض الناس، وأخلاقهم فيكون سببًا في قطع حبل الود والمحبة بينهم .وبذلك يكون المعنى العام للحديث لاتُعرِّض أباك للسب، وتجُرَّه إليه بأن تسُب أباء الأخرين، فيسُبون أباك ليجازوك على فعلك، وقد أيد الزمحشري هذا التفسير بقوله :ونحو مارُويَّ عن عبد الله بن عمر ــ رضي الله عنهما ــ عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ـــ "إن من أكبر الكبائر أن يسُبَّ الرجل والديه، قال :وكيف يَسُب والديه، قال يسُب الرجل فيسُب أباه وأمه "[5] .والذي يظهر من السياق أن النهي في الحديث جاء باستخدام أسلوب نهي المخاطب ؛وذلك لأن الحال يقتضي طلب الكف عن القيام بالأفعال المنهي عنها، ولا يمكن أن يتم ذلك إلَّا بالمواجهة بين المخاطِب والمخاطَب ،حتى يمكن تحقيق أعلى درجة من البر بالأب والطاعة له، في إشارة إلى علوِ مكانته، وتعزيز الإسلام له .

نزع

وقفت المعاجم اللغوية على الدلالة المعجمية للجذر (نزع) وحدَّدت له معاني عدة يدور أغلبها حول

الجذب والقلع

يقول ابن فارس "النون والزاي والعين،أصل يدل على قلع شيء ونزعت الشيء من مكانه نزعًا اقتلعته" [6]

المشارفة على الموت

فيقال فلان ينزع نزوعًا، أو ينازع الموت، أي: أنه يحتضر.الشبه

فيقال نزع فلان إلى أبيه، ينزع في الشبه، أي ذهب إليه، وأشبهه في الشكل .

4_الترك .

فيقال نزع عن الأمر نزوعًا،أي تركه وذهب إلى غيره.

5_البعد .

تجيء نزع بمعنى غَرّبَ وبَعُدَ ونُزَّاع القبائل :غرباؤهم الذين يجاورون قبائل ليسوا منهم [7]

---

(1) القاموس المحيط ((سبب)

(2) سورة البقرة: الآية 166

(3) المغني (معجم اللغة العربية)إعداد عبد الكتاني ،دار الكتب العلمية ،الدار البيضاء،2013م، (سبب)

(4)النهاية في غريب الحديث والأثر

(5) الفائق في غريب الحديث 151/2

(6) مقاييس اللغة ،أحمد بن فارس بن زكريا ،تحقيق عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،1979م، (ن ز ع)

(7) ينظر لسان العرب (ن زع)

وفي حديث أبي هريرة ـرضي الله عنه، قال :إن رجلًا أن أعرابيا أتى رسول الله، فقال: يارسول الله ولد لي إن امرأتي ولدت غلامًا أسود، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل لك من إبل ؟،قال نعم، قال :فما ألوانها ؟ قال :حمر،قال فهل يكون فيها من أورق؟قال :إن فيها لورقًا، قال فأنَّ ترى ذلك جاءها ؟ ذلك ؟ قال :يارسول الله عرق نزعها،، قال ولعل هذا عرق نزعهولم يرخص له في الانتفاء منه "[1]

أخذ السياق معنى نزع إلى واحد من تلك المعاني المعجمية المتعددة، فقد أُستخدم النزع للدلالة على الشبه، فالشبه متعلق بجذب الأب أو الأم للولد، وإلى مثل ذلك ذهب ابن حجر العسقلاني (ت852ه)بقوله :المراد بالعرق الأصل من النسب، وقد شبهه بعرق الشجرة، ولذلك يقولون :فلان عريق في الأصالة أي: أن أصله متناسب كما أنه معرق في في الكرم أو اللؤم، والأصل في النزع الجذب، وقد يطلق على الميل فيقال نزع إلى أبيه أو أمه[2].

وفي الحديث طرح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ سؤلًا إجابته معلومة عند المخاطب ليحقق عنصر التفاعل بين المتكلم والسامع، وليقرر حكمه بعد ذلك مستخدما أسلوب الاستفهام التقريري، لما فيه من إثارة، ولما فيه من انتزاع إقرار المسؤول بلسانه، وهو أمكن من التقرير الخبري، وأبلغ في تؤكيد ما استفهم عنه، وهو ماكان من إثبات النزع أو الشبه بين الولد وبين عرق له بعيد أو قريب ليبعد الزوج عن الشك في بنوة ابنه، وحفاظًا على مؤسسة الزواج من الانهيار .

قسم .

جاء هذا الجذر في معجمات اللغة بعدة دلالات منها:.

1_التجزئة :

حيث ذكر ابن منظورأن قسَّم الشيء بمعنى جزَّأ، فيقال جزَّأه أجزاء، ومنه يقال قسمت المال بين الشركاء، وتقاسم الأخوة التركة .[3]

2_الحلف :

ومنه تقاسم القوم :أي تحالفوا، ويقال :تقاسموا بالله، وأصله من القسامة، وهي الأيمان تقسم على الأولياء في الدم، والقسم بفتحتين، وكذا المقسم وهو مصدر كالمخرج، وقاسمه بمعنى حلف له

3_التفرقة :

ومنه تقسم القوم أي تفرقوا، وقسمهم الدهر فرقهم، وقسمت الهموم فلانًا :جعلته مشتت الخواطر .

4_التفكير :

ومنه اقتسم فلان، فكَّر وروَّى بين أمرين، ويقال :تركت فلانا يقتسم :يفكرويروي بين شيئين .

وفي حديث رسول الله . صلى الله عليه وسلم . "نحن نازلون بخيف بني فلان حيث تقاسموا"[4]

وقد اختزل السياق معنى التقاسم في الحديث في التحالف، أي: طلب بعضهم من بعض الحلفان، وصيعة تفاعل التي جاء الفعل تحالف عليها تدل على المشاركة، وفي ذات المعنى جاء قوله تعالى :{قالوا تقاسموا للنبيتنه وأهله}

وعن توجيه معنى القسم في الحديث للحلف قال الفتني (986ه) "أي :تحالفوا على إخراج بني هاشم وعبد المطلب من مكة إلى خيف بني كنانة، وكتبوا بينهم الصحيفة، وتحالفوا على أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يساكنوهم حتى يُسلِّموا النبي إليهم "

---

[1] صحيح البخاري (أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر، 1998م، رقم الحديث 7314

[2] ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ابن حجر (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني)تحقيق عبد العزيز بن باز ،ومحمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ،المكتبة السلفية ، 351/9

[3] لسان العرب (ق س م)

[4] صحيح البخاري 577/2

وإذا تتبعنا سياق الحديث نجد أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد حدَّد مكان نزوله، وهو خيف بني كنانة ـ موضع في منى ـ في إشـارة إلى مكان التأمر عليه، والغدر به ؛لأنه موضــع الأذى الذي لحقه هو وأهله وعشـيرته وأصـحابه ،حين تعاهد كفار قريش مع بني كنانة على مقاطعته ومن معه .

وبذلك أعطى التحديد المكاني للحالة سياقًا نضجت فيه الفكرة التي ألمح إليها. صلي الله عليه وسلم . وهي التحالف والتقاسم على ماعقدوا عليه العزم، مما أظهر مجموعة المشاعر الناتجة عن ذلك الموقف المُشار إليه بتحديد مكانه، وماحدث فيه من تقاسم .

الخاتمة

من هنا حق لنا القول إن الكلمة عندما تجيء في سياق مختلف ليست مثل الماء الذي ينصـاع لونه للون الإناء الذي وضـع فيه، بل هي مثل الحرباء التي تتلون بلون المكان الذي توضـــع فيه، أي أن الكلمة أشـــبه بالحرباء تمتلك إمكانات هائلة تظهر في الوضع المناسب، وبذلك نستنتج

1– إن الألفاظ ليســت دوال لذاتها بل تجيء دلالاتها من خلال ارتباطها بما يجاورها، حيث لا يمكن لها أن تعيش منعزلة لوحدها، وعندما تدخل في تركيب ما، فإن ذلك يكسبها قيمتها من مقابلتها لما يسبقها أو يلحقها من كلمات.

2–على الرغم من شـمولية المعاجم ،ودقتها في تزويدنا بجلِّ معاني الكلمة الواحدة إلَّا أنها تعد قاصـرة عن الإيفاء بحصـرٍ دقيقٍ لكل المعاني في كل السـياقات باختلاف أنواعها، وبحسـب المواقف الكلامية التي تسـتخدم فيها الألفاظ ،فهي لاتسـتطيع أن تمنحنا الدلالة النهائية التي ينبغي أن تُفهم منها .

3–لايملك السـياق مرونة تعطيه صــلاحية مطلقة، وحق كامل في تغيير دلالات اللفظ؛ لأنه لابد من وجود جزئية ثابتة من المعنى الأصلي لكلمات اللغة، وهذه الجزئية كثيرًا ما تعين في توجيه الكلمة إلى المعنى المقصود .

4_موضـوع الكلمة ومعناها كان محط أنظار العلماء قديمًا وحديثًا، حيث أولت كل الدراسـات اللغوية هذا الموضـوع أقصــى الأهمية .